ســـــورة التوبة

التوبة هى أشرف مقام يصل إليه العبد، وهى كما يقول أهل العلم هى أول الطريق وأوسطه وآخره، وسيأتى معنا فى هذه السورة المباركة (لَقَد تَّابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)

هذه الآية إنما نزلت فى غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة بعد جهاد وصبر وتحمل الأذى ودعوة وجهاد عظيم .

سورة التوبة : سورة مدنية باتفاق ، وسبق لنا كثيرا أن المدنى ما نزل بعد الهجرة ولو نزلت بمكة، وتسمى سورة التوبة أيضا سورة براءة الكبرى لأن هناك براءة الصغرى، وهى سورة "قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ " فهى براءة أيضا من الشرك ومن أهله.

من أشهر أسماء سورة التوبة :

١- المُقَشقِشَة : لأنها تُقَشقِش من النفاق أى تُبرئ من النفاق وتتبرئ من أهله.

٢- المُخزي : لأنها تُخزى الكفر والكفار والمنافقين ، حيث ورد فيها صفات المنافقين منهم ومنهم ،حتى أن بعض الصحابة ظن أنها ستذكر أسماءهم.

٣- الفاضحة : لفضحها سلوك المنافقين وما انطوت عليه صدورهم من الخِسة والندالة.

٤- الكاشفة والبَحُوث والمُنقِرَة (كلهم معنى واحد) لكشفها عيوب الكفار والمنافقين وولايتهم بعضهم لبعض ضد الاسلام.

٥- المُشَرِّدة : لأنها تُشرد المنافقين وتُفلِجُ شكيمتهم.

٦- المُبَعثِرَة : لأنها تُبَعثِر عن أسرار المنافقين أى تبحث عنها وتُثيرها ليقف الجميع على معاول هدمهم.

٧- الحافرة .

٨- المُثِيرة .

٩- المُدَمدِمَة: لأنها تهلكهم وتطوى صفحتهم ، من قوله :"فدمدم عليهم ربهم" دمدم : عمهم بعقاب من كل وجه فأهلكهم.

١٠- المُشَدِّدَة .

١١- العذاب .

١٢- البَشَّارة لأنه ورد فيها :"وبشر الذين كفروا بعذاب أليم"

١٣- العاصفة .

١٤- الفارقة .

١٥- السيف .

١٦- المُحرِّضة لأنها أكثر سور القرآن حثاً على جهاد المنافقين والكفار .

١٧- القرينتين لأنها تُقرَن مع الأنفال ويُظن أنهما سورة واحدة لأنه لا فصل بينهما بالبسملة.

١٨- الغزوتين لذكرها غزوتى تبوك وحُنين ،باقى سور القرآن تذكر غزوة واحدة .

** أشهر الأسماء : هو براءة والتوبة كى نعرف مقدار احتفاء هذه السورة بالتوبة، فإن التوبة تكررت هى ومشتقاتها فى السورة ١٧ سبعة عشرة مرة وفى باقى القرآن أقل من ذلك : السور التالية لها فى ذكر التوبة:

سورة البقرة ١٣ ثلاثةَ عشر مرة ، يليها سورة النساء ١٢ اثنتا عشر مرة ، يليها هود ٦ ست مرات ، يليها المائدة ٥ خمس مرات، يليها آل عمران ٣ ثلاث مرات، يليها الأنفال ١ مرة واحدة .

**هذه السورة لم تبدأ بالبسملة ولكن فيها الاستعاذة ، وقد ذكر بعض أهل العلم لماذا لم تُذكر البسملة فى أول سورة براءة ؟ ، تكلم العلماء بكلام كثير أقربه للصواب :

(١) أن البسملة أمان ورحمة ففيها ذكر الرحمن (على وزن فعلان أى ذو الرحمة الواسعة) ، والرحيم (بمعنى ذو الرحمة الواصلة) فمليئة بالرحمة ، وأما هذه السورة نزلت بالسيف ، كما قلنا هى المحرضة فهى من أكثر السور تحريضا على قتال الكفار والمنافقين ،

والقول الآخر : أنها والأنفال سورة واحدة ، والصحيح أنهما سورتان ، بدليل أن الأنفال نزلت فى أواخر السنة الثانية للهجرة وأما التوبة فى أواخر السنة التاسعة ٩ للهجرة ، ولذلك كل آياتها عن غزوة تبوك وكانت فى السنة التاسعة للهجرة وحديث عن حنين وكانت فى أواخر الثامنة للهجرة (أواخر السابعة وبداية الثامنة) فهى تتحدث عن أحداث متأخرة قليلا .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)﴾

براءة : التبرؤ وهو البغض والبعد × الولاء : القرب والحب

تبرأت : تبغض الأمر بقلبك وتتباعد عنه بجسدك.

هذه البراءة وردت فى السنة التاسعة حينما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليحج بالناس الحجة التى فى السنة التاسعة، وأرسل معه على " ليعلن تلك البراءة ويعلن عن الآيات وأنه لا يطاف بالبيت بعد هذا العام عُريان وكذلك لا يطوف بالبيت مشرك"

لماذا لم يقم أبو بكر بذلك وأرسل على فى الحجة التى قبل حجة الوداع؟

لأن من عادة العرب أنهم إذا نقضوا عهداً كان الذى يتولى نقضه هو الشخص العاقد أو أحد من أقرباءه، وعلى هو قريب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى يعلن البراءة، وأبو بكر هو أمير الحج.

هذه الحجة جاءت بعد اثنتى وعشرين سنة من بدء الوحى بعد صراعا طويلا داميا.

فالجاهلية كانت مصرة على سفك الدم ومصادرة الحرية ووأد الحق فكان جزاؤها أن طبق عليها القانون الإلهى " فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ " هذا كانت نهاية العهد البائد، ولكن العاقبة للمتقين، وقد يطول الصراع اثنتان وعشرون سنة .

"إلى الذين عاهدتم " لماذا جاء الكلام بصيغة الجمع والذى عقد الهدنة هو النبى صلى الله عليه و سلم ؟

لأن النبى صلى الله عليه وسلم عقد الهدنة وأصحابه راضون فالراضى له حكم الفاعل معه.

" فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) "

الآيات تُعلِم المشركين وتقسمهم إلى أصناف :

١- من كان له عهد مطلق بلا حد (غير مقيد بزمان)

٢- من كان له عهد دون أن أربعة أشهر .

٣- من كان لهم عهد فوق الأربعة أشهر.

٤- من كان لهم عهد فوق الأربعة أشهر ونقضه (بدليل مفهوم المخالفة فى الآية)

تُعلمهم بأن عليهم أن يسيحوا فى الأرض بأمان لمدة أربعة أشهر بعدها أمامهم ٣ خيارات :

١- إن تابو أى أسلموا فهو خير لهم

٢- أو أن يخرجوا من الجزيرة.

٣- وإن بقوا على كفرهم فسوف يؤخذون ويُقتلون حيثما وجدوا فى الجزيرة فيعرضهم المسلمون على السيف فإن أسلموا وإلا قتلوا.

"وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ " خزيهم فى الدنيا بقتلهم أو بأسرهم، وفى الآخرة إن ماتوا على كفرهم .

وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) "

- قيل يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة وهذا يُروى عن عمر وعثمان وابن عباس وطاووس ومجاهد وابن سيرين وهذا قول أبى حنيفة.

- وقيل هو يوم النحر، ويوم عرفة يوم عظيم فالنبى :"الحج عرفة" ويوم النحر قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم "إن أعظم أيام الدنيا يوم النحر ويوم القر" فالأقرب والله أعلم أنه يوم النحر، وأن هذا الاعلان كان فيه.

وهناك قول عند المفسرين أيضا "إلى الناس يوم الحج" أن يوم مضاف إلى الحج فيفيد العموم فتصير كل أيام الحج يعلن فيه هذا الاعلام (الأذان).

(وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ) هذه الآية فيها ضمان من الله بنصرة المؤمنين على الكافرين، فإن توليتم فلم تتوبوا فتسلموا فإنكم غير معجزى الله وذلك بأن يسلط عليكم أهل الايمان فيأسرون ويقتلون منكم.

"وبشر الذين كفروا بعذاب أليم " فى هذا دلالة على أن البشارة تأتى بالخير وتأتى بالشر، ثم صارت البشارة خاصة بالخير وتُحمل على الشر أحيانا، ولذلك بعض أهل العلم يقول ان البشارة مع العذاب تكون من باب التهكم عليهم والسخرية لما سيلقون عياذا بالله، ولذلك من أسماء سورة التوبة البشَّارة لأنها تبشرهم بعذابهم.

الأربعة أشهر من أين تبدأ ومتى تنتهى؟

هناك قولان لأهل العلم:

الأول : أنها تبدأ من يوم الإعلان وتستمر أربعة أشهر فالاعلام كان يوم النحر ١٠ ذى الحجة سنة ٩ من الهجرة، ينتهى هذا الإعلان ١٠ ربيع الآخر سنة ١٠ من الهجرة.

القول الثانى : قيل أنها الأشهر الحُرم وعدّها الزهرى من شوال وأنها أشهر الحج فتكون الأشهر الحرم هى الأشهر المأذون لهم فيها وهى ثلاث متواليات (شوال وذو القَعدة وذو الحِجة) و رجب، وهو قول غريب، والصحيح والظاهر والأقرب هو القول الأول لأن القاعدة تقول (عَودُ العهد إلى مذكور أولى من مُقَدَّر) العهد: الألف العهدية.

"إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)"

ينقصوكم : من شروط المعاهدة

الشرط الأول : لم ينقصوكم شيئا الشرط الثانى: لم يظاهروا عليكم

المظاهرة : الإعانة (فلم يعينوا أحدا علينا لا برجال ولا سلاح ولا مشورة ولا رأى) فلو أنهم شاوروا من سيحاربوننا صاروا معهم فهؤلاء لم ينقضوا العهد لهم أجل، فإذا انتهت المدة إما الاسلام وإما السيف أو يخرجون من الجزيرة. يُعلمهم فى مشهد كبير على بهذا الأمر وهو من محاسن الإسلام، فهم يغدرون بنا ويحرم علينا أن نغدرهم كما فى الحديث "ولا تخن من خانك" فالإسلام يربى فى المسلم قوة الشخصية بالتزام الاسلام:"فاستمسك بالذى أوحى إليك"

من فوائد الآيات :

١-جواز عقد المهادنات بين المسلمين والكافرين إذا كان ذلك لدفع ضرر محقق عن الاسلام والمسلمين وتحقق مصلحة محققة كذلك كاستعداد المسلمين للقتال أو وجود ضعف فى المسلمين أو الطمع فى اسلام بعض الكفار.

- تكلمنا عن المعاهدات واختلاف أهل العلم ،العلل التى علل بها الفقهاء عقد المعاهدات (وهى مسألة مهمة جدا من المسائل الفيصلية) وقلنا ان فيها فرق، الفريق الثالث ينقسم إلى قسمين:

بعض فقهاء المالكية والفريق المعاصر، الفريق المعاصر يقول بمثل هذا الكلام، يقول أن الأصل هو السلم وليس الحرب مع الكفار.

٢- تحريم الغدر والخيانة ، ولذا كان إلغاء المعاهدات علناً.

٣- وجوب الوفاء بالمعاهدات ذات الآجال إلى أجلها إلا أن ينقضها المعاهدون.

٤- فضل التقوى وأهلها وهو اتقاء سخط الله بفعل المحبوب له تعالى وترك المكروه.

فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)"

انسلخ : خرجت وانقضت، السلخ : الخروج من الشئ.

الأشهر الحرم: (السابقة على القولين) الأربعة التى حرم الله قتال الكفار فيها لأن المسلمين قد أمّنوهم وكذلك حرَّم التعرض لهم بالسوء والأذى كما سيأتى.

المشركين : هم الثلاثة الأُول :

١- من كان له عهد مطلق وانقضت الاربعة أشهر. ٢- من كان له عهد دون أن أربعة أشهر .

٣- من كان لهم عهد فوق الأربعة أشهر فنقضه أو ظاهر علينا، هؤلاء يُقتلوا، والأقرب أن الإمام مخير إن شاء منَّ عليهم وإن شاء فاداهم وإن شاء قتلهم، فذلك راجع ألى المصلحة العامة للمسلمين وهذا قول عامة الفقهاء وهو قول الإمام أحمد.

" فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ "يقول ابن عباس :"فى الحِل والحرم والأشهر الحرُم"

أحصروهم : احبسوهم، فالحصر هو الحبس.

اقعدوا لهم كل مرصد: اقعدوا لهم فى كل طريق وسدوه عليهم.

"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ"

استجارك : طلب حمايتك وجوارك .

حتى يسمع كلام الله، فى هذه الآية دليل على اثبات صفة الكلام لله وأنه كلام الله حقيقة بلفظه ومعناه وأن الله تكلم به، مع أن التالى سيتلوه ولكن الكلام كلام الله.

ثم أبلغه مأمنه: أوصله إلى المكان الذى يأمن فيه.

ذلك بأنهم قوم لا يعلمون: لجهلهم بالعلم وجهلهم بعقاب الله –جل وعلا– وهذا فيه دليل على أنه كلام الله.

ولذلك طلب الله منا أن نُسمعهم الآيات و لذلك لما علم الكفار حقيقة خطورة السماع قالوا :"لا تسمعوا لهذا القرآن والغو فيه" لأنهم لو سمعوا لتأثروا واستقاموا على دين الله.

﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

بين الله –جل وعلا– أهم صفات ناقدى العقد وهو أنهم لا أيمان لهم ،لماذا؟ لأنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة أى لا يراعون فى المؤمنيم عهدا ولا قرابة وأولئك هم المعتدون ،فهيَّج الله –جل وعلا– أهل الإيمان عليهم وكما سيأتى معنا فى الآيات بأن هؤلاء لا يرقبون فى مؤمن إلا ولاذمة.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

فَإِن تَابُواْ: التوبة هى الرجوع، والمقصود بها هو الرجوع من الكفر الى الايمان، فالتوبة تطلق على الرجوع مطلقا وهى فى الشرع الرجوع من الكفر الى الإيمان ومن المعصية الى الطاعة ومن الفسق إلى المعروف وفعل الطاعات.

فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ: إذن الاخوة في الدين أصلها الإيمان كما قال الله –جل وعلا– فى الآية الأخرى " إنما المؤمنون إخوة" فهذا العقد الذى هو عقد الايمان مؤسس ومؤصل للأخوة فإذا كان المسلم بعد ذلك فاعل للطاعات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من أفعال البر كانت الأخوة اعظم ولكن كما قلت: أن أصل الأخوة هو الايمان، ومعنى أنهم إخوة فى الدين:أنهم قد حصَّلوا العصمة: عصمة المال والدم ولذلك يقول ابن عباس:"هذه الآية حرَّمت دماء أهل القبلة"

﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون الحق فيتبعونه فينتفعون بهذه الآيات.

﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

النكث: النقض، لأن الأصل هو العقد فإذا حُلَّ العقد سُمى نكثا، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ ثم حللته بعد ذلك هذا الحل يسمى بالنكث أو النقض.

الأيمان: العهود والمواثيق.

أى نقضوا عهودهم ومواثيقهم فاليمين يطلق على العهد كما فى قول الشاعر :

وان حلَفت لا ينقض النأىُ عهدها فليس لمخضوب البنان يمينُ

يعنى لو قالت أن البعد لن يضيع العهد الذى بينها وبين محبوبها فليس لمخضوب البنان (اى تفعل الخضاب فى أصابعها) فليس لها يمين، أى أنها عاطفية فإذا نأت وابتعدت فإنها تنقض العهد.

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾: الطعن: العيب، طعنوا أى عابوا وانتقصوا الدين.

﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ لأنهم اذا فعلوا ذلك صاروا أئمة للكفر لأن الإمام هو القدوة، فإذا كان إماما فى الخير كان قدوة فى الخير ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ﴾ هم أئمة فى

ذلك، على العكس تماما، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ اذن هناك أئمة للنار وهم رؤوس إلى الضلال وهناك ائمة فى الخير.

فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ: لا عهود لهم ولا مواثيق لأنهم أهل نقض لها، فطالما أنهم نقضوا أيمانهم مرة بعد مرة ووصل بهم الأمر الى العيب فى الدين والطعن فيه صاروا أئمة للكفر فوجبت هنا مقاتلتهم وجاز قتلهم.

ما الفرق بين القتل والقتال؟

القتل: هو سفك دم من يقاتله.

القتال: قد يقاتله ولكن لايقتله ،قد يوجد القتال بلا قتل ولكن اذا وجد القتل كان سفكا للدماء بلا عودة ، لذلك فى أحكام الجهاد قول النبى >:"أُمرت أن أقاتل الناس"

مصدر مؤول بمعنى أُمرت بمقاتلتهم ، لأن بعض الناس تفهم الحديث ان النبى > قال أمرت بقتل ، هو لم يؤمر بالقتل، إنما أُمر بالمقاتلة فإن أدى ذلك الى القتل مع جوازه جاز ، وفى بعض الحالات لا يجوز القتل وتجوز المقاتلة كما فى قتال الفئات الباغية ، الفئة الباغية "البغاة" التى خرجت على الحاكم بتأويل سائغ وأراد أن يردهم فلم يُردوا ،جازت مقاتلتهم "ولا يجوز قتلهم" فلا يجهز على الجريح ولا يُتبع الفار ولا تغتصب وتسلب النساء ولا الاموال فاذن كل من جاز قتله جازت مقاتلته لا العكس ، اذن قد يجوز المقاتلة ولا يجوز القتل انما اذا جاز القتل جازت المقاتلة.

﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ الأيمان: العهد، وهو الأظهر وقيل أنهم اذا وصلوا لهذا من الطعن والعيب فلن يؤمنوا فساعتها قاتلوهم واقتلوهم جاز لكم ذلك، ولكن الأول أقرب الى السياق لعلهم ينتهون: لعل: بمعنى الرجاء، بمعنى أن هذا الامر يقرُب حصوله، أى رجاء أن ينتهوا عن ذلك ويعودوا الى الإسلام ويعلموا أن الإسلام هو الحق فيتبعوه.

أو: لعل: بمعنى (كى) أى أن فعلهم هذا تعليلا وليس رجاءً، الرجاء عكس التمنى، فالتمنى أمر متعذر (صعب حصوله) أو متعسر (أى قد لا يحصل)،أما الرجاء فهو يسهل حصوله.

ثم بدأت الآيات فى تحريض المؤمنين على قتال هؤلاء الكفار.

﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣)﴾

هنا بدأت الآيات فى ذكر الاسباب المهيجة على قتال هؤلاء:

١ـ السبب الأول: أنهم نقضوا العهد ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ﴾ وسيأتى معنا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى حلف وعهد مع خزاعة وكانت قريش فى حلف مع بنى بكر فتصارع الحيَّان بنو بكر وخزاعة على ماء فتقاتل

هؤلاء وهؤلاء فتدخلت قريش فبيتت خزاعة وقتلت منهم مقتلة عظيمة فذهب أحد الخزاعيين يقول للنبى صلى الله عليه وسلم:" ان قريشا قد نقضوا عهدك" ، وهذا كان أسباب فتح مكة بعد ذلك.

٢- وهمُّوا بإخراج الرسول، هنا ذكر الهمّ ولكن هناك آيات اخرى صرَّحت أنهم اخرجوه فعلا:"يخرجون الرسول وإياكم"، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾

، "وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك" هم أخرجوه فعلا من مكة الى المدينة وأخرجوه الى بدر فأصروا على القتال فى بدر، فكذلك يفعلون ويبدأون فكيف لا تقاتلوا هؤلاء.

٣-﴿ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ : بدأوكم أيضا فى القتال فى بدر وبدأوكم حينما أعانوا بكرا على خزاعة الذين كانوا حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى: " أَتَخْشَوْنَهُمْ ": تخافونهم،

"فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " كلما عظم ايمان الشخص وعظمت معرفته بربه ضعف جبنه وزادت شجاعته، و الخشية هو خوف مقرون بعلم فكلما زاد العلم بالله –جل وعلا– وزاد إيمان العبد كلما صارت عنده شجاعة وضعف جبنه، ولذلك الإمام أحمد يقول: (إذا صححت لم تخف) أى اذا صححت إعتقادك وإيمانك بالله –جل وعلا– فإنك لن تخاف أحد، لأنك تعلم أن الامر كله لله.

فكيف تخشونهم وقد فعلوا لكم ذلك.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ: فتكونون سببا لعذابهم والذى سيمكنكم منهم هو الله –جل وعلا– ولذلك قال:"يعذبهم الله بأيديكم"وهذا العذاب يكون بالقتل أو الأسر فكل هذا من العذاب والذل والخزى الحاصل لهم فى الدنيا.

الخزى:الإذلال والإهانة، فيحدث لهم ذلك بأسرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم وهذا ذل مبتدأ فى الدنيا ثم يكونون فى الآخرة فى الذل الأكبر والاهانة والعذاب الأعظم.

﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الذى ينصرنا هو الله –جل وعلا– فاذا كنا مع الله نصرنا الله –جل وعلا– ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ يشفيهم من ماذا؟ الشفاء هو زوال الألم، فكل شئ يريده الإنسان ولكنه لا يعرف أن يُحصله يسبب له ألما، الأمراض التى تحصل للقلب إما مرض بسبب الشهوة والشبهة وإما مرض بفوات ما يريده الشخص أن يُحصله، هذا يسبب له الألم، هنا خزاعة قتلت والمسلمون تألموا لأن الكفار نقضوا عهدهم وقتلوا حلفاءهم وهم يريدون أن يردوا ذلك فإن ردوه شُفيت الصدور وان لم يردوه صار الألم موجودا.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ: يبعد هذا الغيظ.

المنح:

١- يعذبهم الله بأيديكم.　　٢- يخزهم.　　٣- ينصركم عليهم.

٤- يشف صدور قوم مؤمنين .　　٥- يذهب غيظ قلوبهم.　　٦- يتوب الله على من يشاء.

"وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاء " خزاعة بعدها دخلت الاسلام كلها وقيل دخل من شاء من الكفار فى الإسلام، دخل أبو سفيان عام الفتح ودخل عكرمة بن ابى جهل ودخل سهيل وغيرهم من الذين كانوا يقاتلون النبى صلى الله عليه وسلم ويعاندون الاسلام انتصروا، فالأمرين لله جل وعلا، والله عليم حكيم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾

أَمْ حَسِبْتُمْ: أظننتم أن يترككم الله –جل وعلا– كما أنتم دون اختبار ودون إبتلاء؟ هذا لا يكون، لماذا؟ لأن الإبتلاء سنة ماضية وحكمة ثابتة، فإن الله –جل وعلا– يُقيض من الابتلاءات بين الحين والحين حتى يحدث فرز وتمييز يُظهر أهل الإيمان ويُظهر الإيمان الكامن فى قلوبهم علنًا، ويظهر أهل الريب والنفاق أيضا، هذه من مزايا الإبتلاء، والابتلاء أحيانا منحة حتى يظهر لك الصادق من الكاذب، كما فى قوله تعالى فى آل عمران:" مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ" الطيب: الذى طاب إعتقاده حينها يطيب قوله ويطيب فعله، ويكون لا نقص فيه ولا منقصة.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾ لما يعلم: يعنى أنتم قبل الإبتلاء لم يظهر منكم عمليا ما فى قلوبكم ولكن اذا ابتلاكم الله جل وعلا، قَرُب ظهور ذلك منكم، عملاً، ولذلك قال الله جل وعلا، "ولما" لأنها من الادوات الجازمة للفعل المضارع، التى تجزم فعلا واحدا.

﴿ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ كسرت يعلم لالتقاء الساكنين.

﴿ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: علما يظهر فى الوجود فيحاسبهم عليه الله جل وعلا، لا يحاسب على علمه السابق ولا على ما كتبه فى اللوح المحفوظ ولكن يحاسب العبد على ما ظهر منه.

جاهدوا: بذلوا جهدهم ووسعهم فى قتال اعداءهم، الجهاد يشمل الجهاد بالنفس والمال وجهاد المنافقين، كل هذا ايضا من اقسام الجهاد.

وَلَمْ يَتَّخِذُواْ: الفرق بين لم ولما؟ لما لأمر لم يحدث ولكنه يتوقع حصوله، قال تعالى:"بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ" يعنى هم إلى الآن لم يعذبوا ولكن سيعذبون، "ولما يعلم" يعنى لم يظهر العلم الذى سيحاسبون عليه ولكن سيحاسبون وسيظهر، لما يحضر محمدا :: اى قادم فى الطريق.　　لم يحضر: لم يأت.

لم يتخذوا: فعل مضارع مجزوم بحذف النون لانه من الافعال الخمسة .

"وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً " أى لم يتخذوا بطانة من الكفار يوالونهم وأصفياء يوادونهم فيعلمونهم بأسرار المسلمين فيضر المسلمون بذلك وهذا معنى الوليجة: أن يكون الرجل ليس من القوم بل من أعداءهم ثم يدخله فيصافيه ويعلمه بما يضر به المسلمين من الأسرار وغيرها فيقول :" وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾)

أى لا ينبغى لهم عمارة مساجد الله جل وعلا، وعمارتها بدخولها والجلوس فيها أو ببناءها وإصلاحها فهذا لا يكون للكفار، أما الذى ينبغى أن يقوم بذلك هم أهل الايمان وخاصة اذا كان حالهم انهم شاهدين على انفسهم بالكفر، وذلك أنهم إذا دخلوا المسجد الحرام سجدوا للأصنام ونظروا لهم وتبركوا بهم فصرفوا العبادة لغير الله جل وعلا، فهذه شهادة بالحال والفعل على انهم كفروا.

(أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) تكلمنا على مسألة حبوط العمل بالكفر وقلنا أن الصحيح أن هذه مقيدة بمن مات على الكفر ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: "فى النار هم خالدون" أى ماتوا على كفرهم فإنه تحبط أعمالهم وتضيع وتكون لا قيمة لها وفى النار هم خالدون.

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾)

صفات عمار المساجد: هؤلاء هم عمَّار المساجد، من كانت هذه صفته فقد عمر المسجد:

١- من آمن بالله. ٢- واليوم الآخر. ٣- أقام الصلاة.

٤- آتى الزكاة. ٥- لم يخش الا الله.

فعسى أن يكون من المهتدين وعسى، من الله جل وعلا، على سبيل التحقيق، أى من فعل ذلك كان مهتديا.

ومعنى هذه الآية: من كان على هذه الصفات المذكورة كان من أهل عمارة المساجد، وليس المراد من عَمَرَها كان به هذه الصفات، يعنى من فعل هذه الصفات هو من عمار المساجد لكن من عمرها هل من الضرورى أن يكون عنده هذه الصفات؟ لا، لأن بعضهم كان يقيم على إصلاحها ورفعها (الحسى وليس المعنوى) ومع ذلك كان كافرا، ولذلك أسباب منها: أن العباس لما عُيِّر بكفره تفاخر بهذا أنهم كانوا أهل السقاية وأهل توزيع الخير والطعام، فنزلت هذه الآية مما يدل على أن هذه هى العمارة الحقيقية وليست الأخرى ولذلك عندنا حديث (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان) هذا حديث ضعيف لانه من رواية دراج بن ابى السمح وهو يرويه عن ابى الهيثم عن ابى سعيد، والحافظ بن حجر يقول أن دراج بن ابى السمح صدوق فى حديثه ولكن فى حديثه عن أبى الهيثم ضعف،

فالحديث ضعيف، لأن الناس اذا رأو رجل يذهب للمسجد قالوا هذا مؤمن مع أن من المنافقين من يذهب الى المساجد.

(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩))

اذن المقصود من عمارة المسجد عمارته بالطاعة ولذلك قال ءامن بالله واليوم الآخر (وجاهد فى سبيل الله) ليست العمارة بالتزيين، ولذلك مات النبى صلى الله عليه وسلم، ومسجده مازال حصباء ورمل لم يوضع فيه بُسُطٌ واحد، وكان سقف المسجد من الجريد وكان إذا نزل المطر وكَفَ المسجد ونزل منه الماء على الأرض وصلى النبى صلى الله عليه وسلم مع الصحابة فى ماء وطين، لماذا لم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم بهذه العمارة وجعل السُقُف والأعمده؟ كما نفعل نحن الآن من التزيين فبعض المساجد اكثر من الفنادق الخمسة نجوم! فأصبح اهتمامنا بالتزيين الحسى للمساجد وهذا ليس المقصد بل المقصود هو عمارته بالطاعة، (لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ) فالأعلى والأكثر مقاما أن تعمر المساجد بالطاعة ولذلك الزخرفة تأكل من القلوب، لم تشغلك العبادة وانما شغلتك الزخارف، ولذلك عندنا المسجد هذا الكون الفسيح كما فى الحديث (وجُعلت لى الارض مسجدًا وطهورًا) وقبة هذا المسجد السماء التى زُينت بالمصابيح فلا تحتاج الى تزيين كهذه المساجد الصغيرة لأن عندنا مسجد آخر مبهر لقلبك يأخذ قلبك، انما التشييد الداخلى لهذه المساجد يسلب القلب فى إتجاه آخر غير إتجاه الطاعة، وهذه ليست دعوة لازالة التكييف والموكيت من المسجد ولكن لا يشغلك ونهتم بدروس العلم وحلقات التحفيظ وأمور الطاعة ليكون هو الأصل.

(وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

(الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠))

هذا هو الفوز لمن أراد الفوز.

(قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩))

-هناك بعض الأمور التي أختص بها أهل النفاق وهي:

-العلاقة والمشابهة بين أهل الكتاب والمشركين.

وهي أنهم تشابهوا في الباطن، وإذا حدث تشابه في الباطن فإن هذا يظهر في الواقع والأفعال والتصورات والإرادات.

-ومن هذة الأمور الكفر بالله صفة أهل الكتاب ووصفتهم الآية الكريمة بأربعة صفات:

-أنهم لا يؤمنون بالله.

-لا يؤمنون باليوم الأخر.

-ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

-ولا يدينون دين الحق.

وبهذة الأسباب أوجب الله تعالى مقاتلة أهل الكتاب، وأن هذة الصفات الأربعة متشابه بها المنافقون مع أهل الكتاب،لقوله تعالى في سورة التوبة

(إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)

وهنا المماثلة والمشابهة بينهم واضحة تماما، وهذة المشابهة تجعلهم يقربون من بعضهم بعضا، فترى أهل النفاق يطلعون الكفار بأسرار المسلمين، ويودون لو أن هؤلاء الكفار أتوا واجتاحوا بيضة المسلمين وحصلوا ارضهم وديارهم وكانت لهم الغلبة، لأنهم متشابهون والعياذ بالله جل وعلا.

أوجه التشابه بين المنافقين وأهل الكتاب:

الوجه الأول : أنهم يحآدون الله:

س-فإذن ما الذي جعل أهل النفاق يحآدون الله ورسوله؟

ج - (المحاددة بمعنى المجانبة والمعاداة والمخالفة)، ولهذا لأنهم شابهوا الكفار في الباطن، ودوا لو ظهر الكفر وعلا.

ولذا ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله :

أما التعاون مع الانجليز بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر، فهو الردة الجامحة والكفر الصُراح لا يقبل فيه اعتذار ولا ينفع معه التأول، وذلك أن هناك فئة اطمئنت للإنجليز وتمنت ان يبقى حكمهم وذلك للمشابهة الباطنة ومصلحة الحرص على الأموال والسلامة.

الوجه الثانى: الكيد للإسلام والحقد على أهله في محاولة لإطفاء نور الله عز وعلا ،فقال الله في أهل الكتاب مبينا أن هذا مسعاهم ودندنتهم.

(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢))

كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس أو نور القمر بنفخه وهذا لا سبيل إليه فكذلك ما أرسل به رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد أن يتم ويظهر ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}

قال تعالى في المنافقين:

(لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨))

قلبوا لك الأمور: أي أكثروا من المحن وكيدك وكيد المسلمين، لماذا؟ حتى لا يظهر الحق ولكن ظهر أمر الله جل وعلا وصار لدين الله الصولة والجولة.

ولكن مع ذلك وصفهم الله تبارك وتعالى كارهون أي حالهم حال ظهور أمر الله، وهم كارهون لظهوره.

وقال تعالى في المنافقين:

(وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨))

أي يسخطون عليك وعلى قسمتك وعلى دينك ويتهمون النبي صلى الله عليه وسلم.

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥))

فإذن أكثر المنافقون من السخرية والإستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالدين وبالمؤمنين، يريدون بذلك أن يتوصلوا إلى الطعن في دين الله جل وعلا ليخمدوا نوره ولكن هذا لن يحدث بإذن الله جل وعلا ابدا.

الوجه الثالث: الصد عن دين الله وأكل أموال الناس بالباطل

قال تعالى في وصف أهل الكتاب:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤))

وقد يتصف أهل النفاق مع أهل الكتاب : في أنهم يصدون عن دين الله، والأمر الأخر أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل وعدم انفاقها.

وهنا ذكرت السورة الثلاث صور وأوجه المشابهة بين أهل الكتاب وأهل النفاق .

وهذا يُبرز معلم خطير حتى لا ينخدع المسلمين بمن أعلن إسلامه، لأن هناك فئة تعلن إسلامها وهي تبطن البغض والكره لهذا الدين، ويظهر هذا في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم، فالبعض يصدم بهذا ومن هنا سؤال،

س–هل كان هناك نفاق في مكة ؟

ج - لا، لم يكن هناك نفاق في مكة رغم القتل والتعذيب والأسر ولكن لم يكن هناك عيش ولا رغد ولا سلطة ولكن عندما انتقلوا إلى المدينة حيث العيش والرغد وسلطة ودولة ورخاء، وأن من يعلن إسلامه لا يُصاب بسوء فكانت فرصة لذلك.

لانهم هؤلاء المنافقون جبناء وراء كل ناعق.

أتت السورة ايضا وذكرت صورا من فضائح المنافقين وارجافهم في خذلان المسلمين

وذلك لإن شخصيتهم تتصف بالتلون والمراوغة ومحاولة بث السموم ليؤثروا على الدولة الإسلامية إلى غير ذلك من الصفات التي تظهر معنا .

الصورة الأولى: التى افتضحوا بها وهي كثرة الحلف والتعلل الكاذب:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

العرض: أي ما يعرض من أمور الدنيا والمقصود هنا الغنيمة السهلة بلا قتال وسفر قاصد لاتباعوك.

السفر القاصد: أي السفر المعتدل الذي لا مشقة فيه.

الشقة: أي المسافة البعيدة التي تحدث لصاحبها مشقة.

" وسيحلفون بالله لو استطاعنا لخرجنا معكم ": وهنا يتعللون بالكذب، كذبهم الله.

"يهلكون أنفسهم ": لأنهم مستطيعون ولأنهم في حالة من القوة البدنية والإستعداد المادي.

فكان من الاولى بهم أن يكونوا أول أناس في الصف ولكنهم تركوك، فقال تعالى: " والله يعلم إنهم لكاذبون ".

قال:" عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ":

فائدة:

وهذا الكلام في معرض المعاتبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي معاتبة فيها رأفة ولين به صلى الله عليه وسلم و إلا الله قدم العفو عن المعاتبة فقال " عفا الله عنك لم أذنت لهم".

وإن قدم المعاتبة عن العفو لقال "لما أذنت لهم" قبل العفو لتفطر قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الله جل وعلا رؤوف رحيم في معاتبته.

" حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ": إن أتوا ليأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم متعللين بعدم القدرة فأذِن لهم، ولو صبر حتى تؤتي الأحداث لتبين الصادق من الكاذب ولم يتعجل في الإذن لهم صلى الله عليه وسلم.

الصورة الثانية: أن أهل النفاق هم أهل ريب وتردد :

قلوبهم مضطربة وقلقة ليس عندها ثبات ولا استقرار وفيها شك وريب، قال تعالى:

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

أهل الإيمان قلوبهم مستقرة بالإيمان ولذلك هي مُهيئة للنفرة في أي وقت، لقوله تعالى :"انفروا خفافا أو انفروا ثقالا" فهم مُهيئون على ذلك، أما المنافقون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا عندهم تصديق لما أعد الله للمؤمنين،

فماذا يفعلون ؟

يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الذهاب للقتال، إنما أهل الإيمان الصادق لا يستئذنون في التخلف إلا لو كانوا من أهل الأعذار الحقيقية.

فهذة الفئة قلوبها مريضة وواهنة ضعيفة ولذلك تترك مصلحتها في طاعة الله جل وعلا والجهاد في سبيله وتبحث عن الدع والراحة.

الصورة الثالثة: حب نشر الفتن : (الإعلام الكاذب)

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾

انبعاثهم: أي خروجهم.

فثبطهم: أي فأخرهم عنه.

اقعدوا مع القاعدين: أي مع النساء والصبيان والمرضى.

لو خرجوا فيكم: وذلك لأن المسلمين قلوبهم حزنت لفقد خروج بعض السلمين معهم للقتال (فظاهرهم مسلمين ولا يعلمون نفاقهم) وقالوا لو كانوا معانا لكانوا يكثرون سوادنا ويساعدوننا في القتال.

فبين الله العلة بأنه لم يرد خروجهم فقال " لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم "

خبالا: أي فسادا.

"ولأوضعوا خلالكم ": أي يسرعون بينكم بالنميمة فيفرقون جمعكم ويضعفون صفوفكم.

"وفيكم سماعون لهم": أي بعض المؤمنين منهم من يقتنع بكلامهم ،وهم (ضعاف قد يميلون لقولهم). إذن أنتبه ولا تسمع لهؤلاء.

والتفسير الثاني لقوله "وفيكم سماعون لهم" أي ناقلون للأخبار حيث يسمعون من المسلمين ناقلين للكفار وهذا ما يفعله أهل النفاق ، فإن لم يخرجوا فضمنا أن أسرارنا لن تنقل وهم (الجواسيس).

ابتغوا الفتنة أي يفتينونكم لوقوعكم في التفرق والتشرذم .

الفتنة لكم: أي تعذيبكم ووصول المضارة لكم .

وهذا حدث قبل ذلك في أول خيانة كانت في غزوة أحد حيث تمرد ثلث الجيش ورجعوا، قال تعالى واصفا حالهم :"لو نعلم قتالا لاتبعناكم" وهذا ما حصل من عبدالله ابن أُبي ابن سلول أخذ ثلث الجيش ورجع به إلى المدينة، فلما قيل له لماذا فعلت ذلك قال "لو نعلم قتالا لاتبعناكم "، فكسروا الروح المعنوية للجيش وفتتوا عزمه.

خيانة أخرى كانت قبل وقعة تبوك فقد وقف أثنى عشر رجل من المنافقين على ثنية الوداع ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم . فهذا المشهد الذي ترسمه الآية مرعب، لماذا ؟ لأن له من الدسائس وخيانات ستقع بنا.

قال تعالى "ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين " .

وعقابهم في الدنيا والأخرة

في الدنيا: أي مع كيدهم وكثرة المكائد التي يفعلونها فإن الطرق قد سُددت عليهم ولم يقعوا إلا في الفتنة التي أرادوها هم.

وفي الأخرة: سيقعون ايضا في جهنم.

ولذلك قال "فإن جهنم لمحيطة بالكافرين ": أي سدد عليهم كل الطرق للنجاة كما سد عليهم كل طريق في الدنيا يريدون أن يقعوا المؤمنين فيه.

سبب نزول هذة الآية الكريمة:

وهذة الآية وردت في أحدهم عندما قال لنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي أن لا أخرج معك إلى تبوك، لماذا؟ حتى لا أُفتن ببنات بني الأصفر وهذا لم يكن مراده بل كان مراده التنصُل على الجهاد . فهو اراد أن يهرب من فتنة مزعومة ، فوقع في الفتنة والعياذ بالله.

وهناك قاعدة:

ترك الواجب الشرعي مخافة الفتنة المزعومة وقوع في الفتنة .

فإذا أتى الدليل لا وجود للوجدان والخواطر وإلا كنا صوفية ، فهم يقدمون الوجد مما يجدونه في صدورهم على الدليل.

متى يُقال قلبي غير مستريح؟ إذا لم يجد دليل أو إثبات ولا من فعل صاحب ولا من قول إمام ، وكانت حادثة وتنازعت الأدلة ، فعند الفقيه باب حتى يحسم المسألة فقد يقول ساعتها قلبي لا يستريح لذلك.

الصورة الرابعة: حب الشر للمؤمنين :

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)
قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١)﴾

إن تصيبك : أي تنالك.

حسنة: أي من نصر وغنيمة وفرح.

يتولوا وهم فرحون: أي يرجعون أنهم مسرورين أنهم لم يصبهم أذى كما أصاب المؤمنين.

س ـ لماذا وقع الأذى بالمؤمنين؟

ج ـ وذلك منحة من الله عز وجل، إذا قاموا معها بالصبر والتوكل وذلك أتت الآية بعدها "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" ولم يقل: "علينا".

س ـ إذن لماذا "لنا"؟

ج - لأن لا يصيب المؤمن من شئ من حزن وغم ولا حتى شوكة يُشاك بها إلا كُتب بها له عمل صالح.

"هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ": أي عند الإصابة بالشدة والمصيبة ماذا يفعل المؤمن؟

–أن يُسلم أمره لله .

–وأن يعلم أنها بقدر الله عز وجل .

–وأن يتوكل على الله في دفعها .

فيكون قد فعل عبوديات كثيرة مع هذه المصيبة .

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢))

تربصون: أي تنتظرون بنا .

بأيدينا: أي نأسركم ونقتلكم .

متربصون : أي منتظرون .

فهم يتربصون بنا الهزيمة الساحقة والمصيبة الماحقة، فلماذا لا نُكثر من قول حسبنا الله ونعم الوكيل؟

الصورة الخامسة: أنهم قوم جبناء يحبون الطعن فى المؤمنين

يقول الله جل وعلا حاكيا عنهم:

(لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨))

هذه صورة تبين لنا جبن المنافقين، فيقول الله جل وعلا مبينا صورة جبنهم وخوفهم.

الملجأ: الحصن.

المغارات: جمع مغارة وهى الكهوف فى الجبال التى يختبئون فيها.

مدخلا: هو النفق أو قيل هو السرب تحت الأرض كالأبار.

فهم يبحثون عن منجى ينجون فيه من القتل ولو كان هذا القتل فى سبيل الله عز وجل فهم لو جدوا هذه الأمور ما ترددوا لحظة فى الإختباء فيها ولذلك قال الله تعالى: (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ)

يجمحون: يعنى مسرعين سرعة الفرس الجامح.

قال تعالى:

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)

منهم من يلزم النبى صل الله عليه وسلم فى الصدقات أى من المنافقين.

يلمزك : أى يعيبك فى الصدقات.

فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا): أى استحسنوا فعلك وقالوا هذا هو الصواب.

وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ: وإن لم يعطوا منها سخطوا وعابوك.

كما حدث مع ذى الخويصرة لما أتى للنبى صل الله عليه وسلم إعدل فإنك وهذا فى قسمة الصدقات فهم قوم جبناء يحبون الطعن فى المؤمنين وعلى ذلك عندهم حرص شديد على أذية النبى صل الله عليه وسلم ، كما فى قوله تعالى

(وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١))

تخيل حبهم للطعن فى أهل الإسلام وصلت بهم الجرأة إلى الطعن فى النبى صل الله عليه وسلم بمثل هذا (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ)

أذن: أى يسمع من كل أحد ويصدقه ولايميز بين الحق والباطل، أو كما يقال فى لغتناأنه يطلف أذنه للسماع من والعياذ بالله وهذا فيه اتهام للنبى صل الله عليه وسلم والعياذ بالله بالسذاجة أنه يسمع من كل من يأتيه ويصدق كل ما يقال له فيقول الله جل وعلا رادا عن نبيه (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)

أذن خير لكم : أى لا يأذن النبى و يسمع إلا سماع خير فقط.

يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين : فهو يصدق كلام الله جل وعلا ويصدق المؤمنين وهو رحمة للمؤمنين، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.

كذلك يبين الله جل وعلا صورة من صورهم أنهم بخلاء فقال الله جل وعلا

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨))

يقبضون أيديه: وهى صفة البخل أى بخلوا بأموالهم .

نسوا الله فنسيهم: يعنى تركوا طاعة الله فتركهم الله جل وعلا ترك الناسى لهم.

هى حسبهم : أى كافيتهم عقابا.

لعنهم الله ولهم عذاب مقيم : أى عذاب مستمر .

فوصفهم الله جل وعلا أنهم بخلاء يقبضون أيديهم طيب في قوله تعالى

(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)

هل هم كانوا أصلا يصدقون بالقرآن ؟ فلماذا يحزرون أن تنزل سورة؟

يقول الرازى رحمه الله (حذر المنافق كان على وجة الإستهزاء لأنهم يكذبون بالوحى لأن الله أطلع رسوله على مكنون صدورهم والرسول صل الله عليه وسلم يذكر كل شيء عنهم فوقع حذر الخوف فى قلوبهم بسبب شكهم وحسدهم وشديد عنادهم رغم علمهم بصدقه صل الله عليه وسلم لذا فالأجدر بهم أن يحذروا ليكون معنى الحذر هنا التهديد، يحذر المنافين هى جملة خبرية ولكنها خرجت فى صيغة التهديد بمعنى إحذروا أى المنافقون لأنهم كانون لا يؤمنون بالوحى وكانوا يقولوا ذلك على سبيل الاستهزاء والعياذ بالله.

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ: أى نمزح فيه ولم نكن جادين وفى هذا دليل على أن المزاح واللعب بآيات الله أو رسوله أو بذات الله جل وعلا هى كفارا وإن ادعى صاحبها أنه لا يقصد فيقول أنا لا أقصد فنقول له (تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) لذلك الإجماع على أن من سب الله أو سب رسوله أو سب دينه فهو كافر نوعا وعينا لأن التعظيم هذا لا يجهله أحد فلو أنه سب والعياذ بالله فقد كفر.

أما الخلاف الواقع في مسألة سب الدين فقد كفر أو سب دين شخص معين فهذا خلاف شاذ عند المتأخرين إنما الصحيح أن الإستهزاء ولولم يقصد به صاحبه إلا اللعب فهو كفر بنص هذه الآية فلابد من الحذر عياذا بالله تعالى.

إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ: نعفوا عن طائفة أى نتجاوز عن طائفة لتركهم النفاق وتوبتهم منه، وهل هناك بعض المنافقين تابوا؟ نعم هناك بعض المنافقين تابوا وحسنت توبتهم.

هنا يقول تعالى: الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

مالفرق بين قوله تعالى(والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أوليآء بعض) وقوله تعالى (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)؟ ما الفرق بين التعبيرين ؟

التعبير الأول (والؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض)أن قلوبهم متحدة كما أن أبدانهم متحدة ولذلك كلمة أوليآء جمع ولى معناها أنهم متحدون، متعاطفون ، متراحمون ، يرحم بعضهم بعض فهم فى الباطن كما فى الظاهر سواء. يحب بعضهم بعضا ويرحم بعضهم بعضا كما وصفهم النبى صل الله عليه وسلم فى الحديث (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

أما التعبير الثانى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) بعضهم من بعض فى الحكم وإن كانوا فى الباطن متشاكسون مختلفون هم مجتمعون على الحكم أنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان أما هم متشاكسون ولأن أهوائهم شتى وطرقهم مختلفة.

- أيضا من الصور التى رسمتها السورة لأهل النفاق صورة السخرية من المؤمنين ذكرنا أنهم يسخرون من النبى صل الله عليه وسلم والعياذ بالله، فالذى يسخر من النبى صل الله عليه وسلم والعياذ بالله يسهل عليه السخرية من المؤمنين أيضا يقول الله تعالى

(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠))

يلمزون: أي يعيبون ويطعنون.

المطوّعين: أي المتصدقين بأمواله زيادة على الفريضة.

إلا جهدهم: إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.

وهذه صورة من صور المنافقين الذين يلمزون يعيبونه أنهم المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فهذه طبيعة متأصلة فى أهل النفاق أنهم يحتقرون ويستهزأون بكل مؤمن

أولا كما قلنا أن فيهم شبة من أهل الكتاب الذين يحسدوننا فهم أيضا أهل حسد وحقد.

ثانيا أهل كبر وعتوا فهم يسخرون من أهل الإيمان، فهم قعدوا لأهل الإيمان إذا أتى أحد المؤمنبن بصدقة كبيرة يقول ما فعل هذه الإ رياء وسمعة، وأما إذا أتى أحدهم بصدقة ملء كفه يقولون لا يقدر الإ على ذلك يقول تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) ويقولون إن الله غنى عن هذا ما هذه الصدقة فيلمزون هذا ويلمزون هذا مع أنهم بخلاء يقبضون أيديهم مع ذلك يقون فلان مثلا تصدق ب ١٠٠٠جنية مأراد بهذا الإ رياء وسمعه وفلان تصدق بربع جنية يعمل إيه الربع هذا فيلمزون هذا وهذا والعياذ بالله.

الفاسقين: الخارجين عن طاعته بالكفر والعياذ بالله.

فإن أكثرت لهم من الإستغفار فهو لا ينفعهم ذلك أنهم كفروا بالله ورسوله.

من الصور التى بينتها السورة أنهم يحبون المال ويؤثرونه على كل شىء ولذلك لا مانع عندهم أن يتركوا الجهاد مع النبى صل الله عليه وسلم يتركون الطاعة لأنهم لا يريدون إلا المال فيقول الله تعالى

(فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١))

بمقعدهم: أى قعودهم.

خلاف رسول الله: أى مخالفين لرسول الله.

كرهوا: كراهية إنفاق المال وإنفاق النفس.

أنظر إلى كراهتهم لإنفاق المال وإنفاق النقس فجمع بين الجبن والبخل وكان رسول الله صل الله عليه وسلم يستعيذ من الجبن والبخل كما فى حديث أنس رضى الله عنه (اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل).

البخيل : لايجود بماله، والجبان: لا يجود بنفسه، فكلاهما من جنس واحد.

وقوله تعالى(وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) فقالوا لا تسيروا للجهاد فى الحر لأن غزوة تبوك كانت فى شدة الحر فقالوا (لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) فقال تعالى (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) فهم قوم أغبياء لا يدرون مصلحتهم على الحقيقة.

(لو) حرف امتناع لامتناع، فلو كانوا يفقهون ما قالوا هذه المقالة وما بخلوا بإنفاقهم وما قعدوا خلاف رسول الله صل الله عليه وسلم فلايعلمون ولا يدركون وليس عندهم عقل ولا يفقهون.

(لاَ تنفِرُوا فِي الحْرِّ) : كان من الممكن أن يستظل بمظلة، أو أن يضع على جمله هودج، أو يسير بجوار الجبال العالية، أو أن يضع الماء على رأسه كان من الممكن أن يتخذ أى أسلوب ولكنهم يتعللون فهذا أسلوب الجبناء فيتعلل بأسباب غير حقيقية فيكون الرد عليهم، (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ).

يقول الله تعالى: (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢))

فليضحك قليلا بتخليه عن الجهاد والبذل فى سبيل الله جل وعلا، إنه العمر القصير جدا فليضكوا قليلا وليبكوا كثيرا ساعة لا ينفع البكاء لأنه لا عودة مرة أخرى فلو بكى وجرى دمعه أنهارا فإن هذا غير نافع لهم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

(فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣))

فإن استأذنوك للخروج فلا تأذن لهم لأنه سيأتى بعد ذلك فتوحا لاقتال فيها وسيكون هناك غنائم كثيرة ونصر فإذا علموا ذلك وعلموا أنهم أمنون ولن يقاتلوا ولن يصيبهم مكروه فستأذنونك للخروج فلا تأذن لهم وذلك ،أولا لن يخرجوا مع النبى ، ثانيا عقوبة لهم ، ثالثا حذر من الفاسد لخروجهم مع المؤمنين . وسبق لنا قول الله تعالى (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)

إذا هو جزاء لهم فلا يخرجون معك إنهم رضوا بالقعود مع الخالفين من النساء والأطفال والعجائز والزمنة المُعفون المعذورون من الجهاد، فكيف يرضى الإنسان أن يجلس مع هؤلاء، وفى صحيح مسلم أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله إخلفنى فى المدينة فقال يارسول الله تخلفنى مع النساء والصبيان، أى لا يليق بى أن أجلس مع النساء والأطفال ولو كان بإذن النبى صل الله عليه وسلم أى لا يجلس، هذا من يحب البذل والجهاد فى سبيل الله جل وعلا، ولو كان أحد من المنافقين لفرح لجلوسه مكان رسول الله وفرصة لان يجلس بعذر ويأمن على نفسه وماله والعياذ بالله.

(ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥))

تقم : أى تقم على قبره بالدعاء بالمغفرة له.

ولذلك لا يجوز الدعاء للكافر الذى مات ولكن الكافر الحى فيه خلاف بين أهل العلم، أما الذى مات فبإجماع وكلمة إتفاق بين أهل العلم أنه لا يجوز الدعاء له، فلا تقم على قبره بالدعاء والمغفرة ولكن يمكن أن تقم بالإتعاظ والإعتبار بموت الكافر إنما الدعاء له فلا.

حضور جنائز الكفار لا يجوز لان هذا دين وشرع عندهم أما التعزية فجائزة، فإذا كان الإنسان جاره يهودى أو نصرانى كأن يقول له البقاء لله ،أصبر على ما أصابك لكن الاحتساب فلا، وإذا تزوج جاز التهنة أو مرض ولكن يحضر جنائز أو يشهدها أو يحضر إحتفالات فهذا ليس جائز أبدا هذا شرع ودين لا تهاون فيه.

كان ابن عمر يقول لهم(بارك لك فى مالك وولدك) فقيل له أتدعوا لهم قال نعم إذا زاد ماله وولده زادت الجزية التى تدفع للمسلمين وطالما لا يجود دليل بالمنع فلا بأس بالدعاء .التنهئة لهم ليس فيها شئ من الحب والود ولكن فيها من البر كما هو المقصود من الآية (أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)

تبروهم: أى تفعلوا معهم البر وليس لها علاقة بالحب.

أن تقول كل سنة وأنت طيب ليس معناها الحب، التعزية ليس معناها الحب، البيع والشراء ليس معناها الحب، قبول الهدية ليس معناها الحب، هذه أمور ليست من الولاء المحرم.

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥))

كيف يكون التعذيب بها فى الدنيا ؟؟ فعندما يرى الكافر أن أولاده فيهم من الحسن والنضارة، ويرى أمواله الكثيرة المكتنزة فإنه يحب ذلك حبا شديدا، فإذا عاين الموت تحصر وتعذب على كل ذلك أنه سيتركه وأنه سيفقده، ولذلك أهل الإيمان(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، لا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا خوف عليهم فيما يتركونه لأنهم لم يتعلقوا به.

(وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آَمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦))

(أن) هنا تسمى بأن التفسيرية هى التى سبقت بفعل يدل على معنى القول لا لفظه أى سبقت بكلام يدل على معنى القول لا لفظه مثل (كتب – أرسل – أوحى –بعث– أشار)كل هذه فيها معنى القول ولكن ليست من لفظ القول، مثل (أرسل الخليفة إلى عماله أن أحسنوا إلى الرعية) وهنا فى الآية (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

(بعثنا أن) تبقى أن هنا تفسيرية أن إعبدوا الله لذلك نلاحظ أن الفعل بعدهاأمنوا فعل أمر، وذلك لأن أن الناصبة للفعل المضارع يأتى بعدها فهل مضارع، أما أن التفسيرية يأتى بعدها فعل أمر.

أولى الطول: أهل اليسار والغنى. طبع: ختم على قلوبهم.

وانظر إلى خاتمة الآية (فهم لا يفقهون) والتى سبقتها ختمت (ولو كانوا يفقهون) فهم مصرون على الجهالة والغرور والعياذ بالله.

قال الطبرى: فى مسألة الإعجاب بالأموال والأولاد يقول (ولا يعجبك يا محمد أموال وأولاد هؤلاء الكفار فتصل على أحد منهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فإنى أعطيته من ذلك لأعذبة بها فى الدنيا بالهموم والغموم بما ألزمه فيها من الرزايا والمصيبات) فنسأل الله العفو والعافية.

قضية (الحلف عند المنافقين) كما سبق أن ذكرنا أن أهل النفاق يريدون أن يعيشوا فى مجتمع يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، فكيف يأمنون مع أفعالهم القبيحة ؟! إتخذوا من مادة الحلف ذريعة لأن يتوصلوا إلى هذا الأمر، أي، أنهم كلما أخطأوا حلفوا وكثرة الحلف هذه فيها نهى كما قال تعالى (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)، وهو الذى يكثر من الحلف فيحلف بالباطل ويحلف بالحق، وفسر قول الله تعالى(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)، أحد الأقوال هو المنع من الحلف، الأصل هو المنع.

فالمنافقون إتخذوا كثرة الحلف ذريعة لهم ولكنهم كانون يحلفون بالباطل والكذب وهو من الكبائر العظيمة عند الله جل وعلا ، كما عند البخارى والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو الكبائر (الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس).

اليمين الغموس: هو أن يحلف صاحبه على أمر كذبا، وهو أمر ماضى عند الشافعية والحنابلة، وعلى أمر مستقبل عند الحنفية والمالكية.

وسمى غموس: لأنه يغمس صاحبه فى النار ويطلقون عليها اليمن الفاجرة واليمين الصبر لأنه يصبر نفسه على الحلف وهو كاذب والعياذ بالله.

أما أهل النفاق فمسألة الحلف عندهم يسيرة فمادة الحلف جائت فى القرآن فى ١٣ موضع منها ٧ فى سورة التوبة فهم يستخدمون كم كبير من الحلف.

المواضع فى سورة التوبة هي:

١- يقول الله تعالى (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)

هذه يمين مهلكة لأنه يحلف وهو كاذب فكيف يحلف ويهلك نفسه ؟! إنما هو يحلف إرضاء للمؤمنين وإرضاء رسول الله فهو ليس عنده إيمان بالله ولا إيمان بهذا الأمر إنما يحلف لكى يعيش داخل المجتمع بآمان.

٢- يقول الله تعالى (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)

حلف المنافقون هو طلب الآمان المفقود لديهم لأنهم أهل ريب وإضطراب وقلق وفيحلفون لأهل الإيمان أنهم منهم، فمثلا يقول والله نحن أهل إيمان مثلكم لماذا؟؟؟ لأنهم عندهم قلق واضطراب داخلى فهم كذبه يردون أن يأكد لأهل الإيمان أنهم منهم وما هم منهم.

٣- يقول الله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)

يقول الرازى رحمة الله (إعلم أن هذا نوع آخر من قبائح المنافقين وهو إقدامهم على اليمن الكاذبة أنهم حلفوا أنهم ما قالوا ما حكى عنهم ليرضوا الؤمنين بيمينهم وكان من الواجب أن يرضوا الله بالإخلاص والتوبة.

خذها مسلمة فى حياتك من أحق أن ترضاه الله ورسوله لا ترضى أحد دون الله ورسوله، إرفع شعار (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا) فإذا كان أمر فيه رضى الله وسخط أحد فرضى الله هو الأحق والدليل على ذلك (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ).

٤- يقول الله تعالى (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)

هنا أيضا يفضحهم الله بزلة لسانهم فهم ينطقون بكلمات الكفر التى لو غمست بماء البحر لأفسدته .فهم يتكلمون بكلمة الكفر ومع ذلك يحلفون أنهم ماقالوا فيزداد خزيهم وفضيحتهم والعياذ بالله .

(٥)و(٦) - يقول الله تعالى (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦))

هذا أيضا كشف لنواياهم الخبيثة وسوء طبعهم فى اصراهم واستعدادهم العجيب واستمرار غدرهم وطعنهم فى المسلمين فإن تمكنوا من المسلمين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة فإن غلب المسلمين وظفروا يحلفون لهم .

٧- يقول الله تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١٠٧)

المنافقين غدة سرطانية داخل المجتمع المسلم ونزلت هذه الآيه فى شأن أبو عامر الراهب .أنه قال للمنافقين سأذهب إلى هرقل وآتيكم بجيش قوى ولكن عليكم بناء مسجد تجمهون فيه وتجمعون فيه قوتكم وسلاحكم وتنتظرون فيه فإن آتى الجيش تكونوا على أهبة وإستعداد ، وتجموا فى المسجد فإن آتى الجيش أعانوه على قتال النبى صل الله عليه وسلم فوصف الله فعله بقوله جل وعلا :-

١-مسجد ضرار أريد به الضرر لأهل الإيمان .

٢-كفرا وتقويه للكفر.

٣-التفريق بين المؤمنين فإذا كان هناك مسجد غير مسجد النبى صل الله عليه وسلم فمن المسلمين من يترك مسجد النبى صل الله عليه وسلم ويصلى معهم.

٤-إرصاد لمن حارب الله ورسوله ،إعداد وإنتظار وترقب لهذا الجيش الذى سيأتى به أبو عامر الراهب .

يقول الله تعالى (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ) ماهى الحسنى؟ سيحلفون بالله أنهم ما بنوا هذا المسجد إلا رفق بالضعفاء الذين لا يستطيعون الذهاب إلى مسجد النبى صل الله عليه وسلم والصلاة معه، ولكن الله جل وعلا (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ). فهم بنوا المسجد للضرار والكفر والتفريق بين المسلمين ومحاربتهم، ثم قال الله تعالى لنبيه (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)

نهى الله جل وعلا أن لا يقوم فيه أبدا لمسجد النبى صل الله عليه وسلم أو مسجد قباء فقط للمسلمين، فماذا فعل النبى صل الله عليه وسلم بهذا المسجد ؟ هدمه النبى صلوات ربى وسلامه عليه، وعلى هذا يقول أهل العلم (كل مسجد بنى على ما بنى عليه مسجد الضرار لا حكم له ولا حرمه له ولا يصح الوقوف عليه، وقد حرق الراضى بالله كثيرا من مساجد الباطنية والمشبة والمجبرة وزبل بعضها، قال الزمخشرى (كل مسجد بنى مباهيا أورياء أو سمعه أو لغير وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار) .

(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)